السلفية في جيبوتي.. الواقع وآفاق المستقبل (الجزء الأول)

التقرير الأسبوعي

الرقم: 50

إعداد: الكاتب والباحث / عبد الله الفاتح

تاريخ الإصدار: الجمعة 12 اكتوبر 2018

نبذة عن المؤسسة

الصومال الجديد مؤسسة أهلية غير ربحية تعمل في مجال الإعلام والبحوث والدراسات والتنمية البشرية، وتأسست المؤسسة على يد مثقفين وكوادر مهنيين صوماليين في العاشر من شهر مايو عام 2015، ويقع مقرها الرئيسي في العاصمة الصومالية مقديشو.

Website: www.alsomalaljadid.com / www.alsomal.so / www.alsomal.net Email:alsomalaljadid@gmail.com

ملخص:

جاء اختيـــار الباحث للدراســة في مسألة "السلفية في جيبـوتي: الواقـع وآفاق المستقبل" كنتاج لجملة من الاعتبـارات والعوامل، تمثلت في مجملها أهمية هذه الأطروحة على المستوى الفكـري والسياسي والاجتماعي، فقد كان لتنامي الفكــري السلفي دور العامــل الأول، فيما كان لانعكاسـات هذه التنامي على الحالة الجيبـوتية دور العامل الثاني،

كما أن المتغيرات الهائلة التي تمـر بها العــلاقات السلفية مع القــوى السياسية والفكرية الوطنية ومكونات المجتمع الجيبـوتي بشكل عام، فضـلاً عن حالة الاهتـزاز والغليان المستمر للبنية الداخلية السلفية، كانت كلها عـوامل موضوعية، قد دفعت الباحث لمحاولة الوقوف على تفاصيل الواقع السلفية الجيبــوتية واستشراف مستقبلها ومآلاتها.

أهـــداف الدراسة:

واحد من أهم الأهـداف التي تسعى هذه الدراسة إلى تحقيقها، يتمثـل في دراســة الحالة السلفية في جيبــوتي، والإمساك بمجمل العناصر والعوامل التي ساهمت في بـروز الواقــع السلفي الراهن ، من أجل الوصول إلى رؤية عامة للمُرتكزات والمُحددات المنهجية للفكر السلفي المُتغير، وبالتالي فهم طبيعة بنيتها الداخلية وعلاقات التفاعلية وكذلك العوامل والمؤثــرات على تطور السلفية ومآلاتها المستقبلية بصفة عامة، مع أخذ الاعتبــار للظروف السياسية الجديدة والمتغيرات المحلية والإقليمية والدولية.

كما تهدف الدراسة إلى إثـراء البحث العلمي فيما يتعلق بدراسة الحركات الإســلامية المعاصرة، لا سيما وأن مسألة الحركات الإســلامية في منطقة القرن الإفريقي وجيبــوتي بصفة خاصة، لا زالت تحتاج إلى دراسات معمقة، على عكس نظيرتها في العالم العربي والإســلامي التي نالت حظــاً وفراً من الاهتمـام والبحث.

إشكالية الدراسة:

في محاولـة للوصـــول إلى هذه الأهـداف المذكورة أعلاه، انطلق الباحـــث في صياغة إشكالية الدراســة، وتتمحور حول بحث وتحليـل الأوضاع السلفية بجيبــوتي والسيناريوهات المستقبلية المحتملة، وذلك من خلال تحديد وطـرح الإشكالية التاليــة:

1. ما أهم العوامل المؤثرة في مسـارات الدعـوة السلفية في جيبــوتي؟ وتطور بيئتها الداخلية وعلاقات التفاعلية وارتباطاتها الداخلية والخارجية بصفة عامة؟؟

ولمحاولة الإجابة عن هــذه الإشكالية، لا بد لنا من صياغة وطرح جملــة من الأسئلة الفرعية المساعدة، تتمثـل في الآتي:

1) ما هي السلفية المعاصرة؟ وما مفهومها ودلالاتهــا؟ وما هي الأسباب الحقيقية وراء الجــدل والخــلاف الدائر حول استخدام هذا المصطلح للدلالة على بعض الحركات الإســلامية المعاصـرة؟
2) كيف نشــأت وتطـورت الدعوة السلفية في منطقة القرن الإفريقي وجيبــوتي بصفة خاصة؟ وما هي مرتكزاتها الفكرية ومحدداتها المنهجية؟
3) ما هي الخصائص والمميزات السلفية الجيبــوتية؟ وما أهم العوامل الداخلية والخارجية المؤثرة في بيئتها الداخلية وعلاقاتها التفاعلية على كافة المستويات والأصعدة؟
4) ما طبيعة دور السلفية الجيبوتية في الساحة المحلية؟ وإلى أي مــدى يمكن لارتباطاتها الخارجيــة أن تؤثـر على توجهاتها الفكرية والسياسية في هذه التفاعلات؟
5) وما هي التحديات التي تواجهها السلفية الجيبوتية؟ وما تداعياتها وتأثيرها المحتملة على مجمل تطورات الأوضاع السلفية ومآلاتها المستقبلية؟ وقدرتها على التكيُف مع الظروف والمُتغيرات السياسية والاجتماعية والأمنية الراهنة؟؟

فرضيات الدراسة:

من أجل التفكيك والإجابة عن الإشكالية محـل الدراسة، انطلق الباحث في فحص فرضيـاته التي يمكن إيجازها في الآتي:

1. ثمـة عوامل وأسباب موضـــوعية ساهمت في بـــروز الفكر السلفي وانتشاره في المنطقة بهـذا الشكل من أهمها: الواقع السياسي المتخلف والانحطاط الفكري العميق الذي تعاني منـــه المنطقـــة وجيبوتي بصفة خاصة.
2. على عكس الشعوب والمجتمعات الأخرى في المنطقـة، فإن أغلب مكونات المجتمع الجيبوتي، لا تزال تجد صعوبة بالغة في تقبل الفكر السلفي السائد في المنطقـــة، ولهذا فإن دور التيارات السلفية وتأثيـراتها على المشهد الجيبوتي العام، لا يزال يتسم بالمحدودية والضعف حتى اليوم.
3. هناك العديد من التحـديات الداخلية والخارجية تواجهها التيارات السلفية في جيبـــوتي والمنطقـــة، منها غياب التفكير المنهجي والعقـلاني لمواجهة التحديات والظروف المتردية التي آل إليها الواقع الحضاري الإسلامي، كما أن وجودها ومستقبلها يتحدد بمدى قدرتها على صياغة خطاب فكري وسياسي أكثر عقلانية وواقعية للاتصال بالجمهـور، وكذلك مدى فهمها ووعيها بالتحولات والمتغيرات الحاصلة على الساحة المحلية والإقليمية والدولية.

هيكـل الدراسة:

فحص هذه الفرضيات تتطلب من الباحث تقسيم الأطروحة إلى أربعـة محاور رئيسية، بالإضافة إلى المقدمـة والمدخل التمهيدي والخاتمة التي تعرض النتائج والتوصيات التي خلصت إليها هذه الدراسة، وذلك وفق الخطـــة الآتيـــة:

المقدمـــة: وتتضمن تحديد إشكالية الدراسة ومن خلالها تم توضيح أهمية هذه الدراسة وفرضياتها إلى جانب منهجيتها وأهدافها في الإطار العام.

أما المدخل التمهيـدي فيعالج إشكالية ضبـط مفهوم السلفية والمفاهيم الأخرى ذات العلاقة بموضوع الدراسة، لإزالة اللبس والغموض والتداخل بين المصطلحات، من أجل التأسيس لقاعدة نظرية تكون مدخـلاً للباحث في تحويله هذه المفاهيم المجردة إلى واقع إجـرائي من خلال ترجمتها واسقاطها على الحالة السلفية عموماً، والسلفية الجيبوتية خصوصا.

ويتطرق المطلب الأول إلى المحددات المنهجية والمرتكزات الفكرية للدعوة السلفية، وتم من خلاله ضبط وتحديد المنطلقات الفكرية والسياسية التي قامت عليها السلفية المعاصرة، لفهم سلوكها وعلاقاتها التفاعلية مع الاتجاهات الأخرى وتعاملها مع المتغيرات والظروف المتردية التي آل إليها الواقع الحضاري الإسلامي على كافة مستوياته السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية والدينية.

أما المطلب الثاني فيعالج نشـأة الدعوة السلفية المعاصرة وتطورها، ومن ثم التطرق إلى خصائص ومميزات النشأة السلفية في جيبـــوتي، وتفسير انتشارها في البلاد، لتحديد العوامل الداخلية والخارجية التي ساهمت إيجاباً أو سلباً في مسيرتها التاريخية، والتوقف عند أهم المحطات التي مرت بها، وكيف أثرت كل محطة على توجهاتها وعلاقاتها التفاعلية.

أما المطلب الثالث فيستهدف دراسة واقع السلفية في جيبوتي، وتحليل دورها وتأثيرها على الساحة المحلية، ومن ثم يتناول تفاعلات بيئتها الداخلية بناء على محدداتها المنهجية والفكرية وهياكلها التنظيمية، علاوة على تصوراتها السياسية تجاه مجمل القضايا الوطنية والمتغيرات المحلية والخارجية التي تتم وفقاً للتحولات الجيوبولتيكية الجارية في منطقة القرن الإفريقي والعالم العربي والإسلامي بشكل عام.

بينما يتعرض المحور الرابع للسيناريوهات المتوقعة لواقع السلفية في جيبوتي والآفاق المستقبلية، من خلال دراسة وتحليل التحديات التي تواجهها على كافة المستويات والأصعدة، ومدى قدرتها على التكيف معها، ومن ثم معالجة تأثيرات وتداعيات هذه التحديات على مستقبل الفكر السلفي في البلاد.

مدخل تمهيدي:

لقد شكلت السلفية المعاصرة منذ نشأتها على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي التميمي، في القرن الثامن عشر الميلادي، شكلت أحد أهم محاور الجدل والنقاش، ليس في الأوساط الفكرية والسياسية فحسب، وإنما حتى في أوساط فئات المجتمع المختلفة.

لكن مجمل تلك النقاشات لم تتجاوز في إطار الانطباعات العامة، كما لم تخل من الميول الفكرية والنوازع الشخصية، وهو ما أصاب "القاموس المفهومي" للسلفية، بحالة من التضخم واللااستقرار، لاختلاف الآراء وتعدد التعريفات التي تعرضت لهذا المفهوم ومحدداته ودلالاته.

وعليه فإنه من الصعب جداً إيجاد تعريف جامع ومانع لمفهوم السلفية المعاصرة، ولعل ذلك عائد إلى تعدد الرؤى الفكرية والإيديولوجية للدارسين والمنشغلين بالمسألة السلفية، علاوة على أسباب وعوامل أخرى مرتبطة بالظروف التاريخية التي نشأت فيها السلفية وارتباط جزء كبير من حاضرها بتلك الحقبة، كما أن السلفية ليست كياناً واحداً، بل تضم مجموعة من التيارات، تعددت اتجاهاتها وأساليب عملها، وتباينت اهتماماتها وأولوياتها، مما زاد الأمر تعقيداً.

ونظراً لتلك التعقيدات، سيحاول هذا البحث – قبل الولوج في صلب موضوع الدراسة – معالجة إشكالية ضبط مفهوم السلفية بشكل موضوعي، لأن رؤية المفاهيم تُعد مسألة في

غاية الأهميـــة، حيث تمكننا من إزالـــة الالتبـاس والغموض، وإعطـــاء الوصف التعريفي السليم للدعوة السلفية، ومن ثم تحـــديد الملامـــح الفكـــرية والفـــروق السياسية بيـن تيـــاراتها المختلفة، وهذا ما سنعمل على توضيحه في السطور القادمة:

أولاً: السلفية: المفهوم والتوظيف:

I. السلف لغـــة:

أصـل كلمة "السلف" بمعناها اللغوي: تعني ما مضى وانقضى، وسلف الرجـل: أي آباؤه المتقدمون، فقـد عرف ابن فارس في (معجم مقاييس اللغة): كلمة سلف: بأنها أصل يدل على تقدم وسبق، ومن ذلك السلف الذين مضـوا.

وعرف الراغب الاصفهاني في كتابه "المفردات" السلف: المتقدم، ومنـه قول الله تعالي: "فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَـلاً لِلْآخرِيْنَ"[1]أي معتبراً متقدماً، ولفـلان سلف كريم: أي آباء متقدمون، وجمعه: أسلاف وسلوف.

وقـال ابن منظـــور في "لسـان العرب" السلف: من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السبق والفضـل، ولهـذا سمي الصدر الأول من التابعيين "السلف الصالح" ومنه قول النبي(ﷺ) لابنته فاطمـة: فإنه نعم السلف وأنا لك" أخرجه مسلم [2].

II. السلف اصطلاحاً:

يقصـــد بالسلف بصورة عامة في اصطـلاح أهل العلـم، لا سيما أهل الحـديث، للدلالـة على منهج الصحابة ومن تبعهم بإحسان، كما جاء في قوله تعالى: (السابقون الأولون من المهاجرين

---

[1] سورة الزخرف الآية: 56.

[2] سليم بن عيد الهلالي، السلف والسلفية: لغة واصطلاحاً وزماناً (موقع شبكة سحاب السلفية) 31 مارس 2006م.

والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان)[1]، وقد تناول الكثير من العلماء – منذ القدم– لهذا المصطلح، بصدد الحديث عن الصحابة والتابعين وتابعيهم.

وبهذا المعنى قال الإمام البخاري: قال راشد بن سعد: "كان السلف يستحبون الفحولة، لأنها أجرى وأجسر" وعلق الحافظ ابن حجر في كتابه "فتح الباري" (6/66) قائلاً: أي الصحابة ومن بعدهم".

ثُم تقرر هذا المصطلح عند معظم أهل العلم بمن فيهم علماء الكلام، وقال الإمام الغزالي معرفاً كلمة السلف: أعني "مذهب الصحابة والتابعين" [2] وبالتالي فإن مصطلح "السلف الصالح" هو تعبير يراد به المسلمون الأوائل من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى من عمر الإسلام، وهم الذين شهد لهم النبي(ﷺ)بالخيرية في قوله: (خير الناس قرني، ثُم الذين يلونهم، ثُم الذين يلونهم) [3].

وعليه فإن مفهوم ودلالة هذه الكلمة بمعناها الاصطلاحي المستقِرُ، يقصد بها القرون الثلاثة الأولى من عمر هذه الأمة الإسلامية، التي شهد لها الرسول (ﷺ) بالخيرية، وهذا محل إجماع وتوافق عند الجمهور، ولكن اختلفت آراء أهل العلم في المراد بالخيرية في حق هذه القرون الثلاثة.

وفيما ذهب الجمهور، إلى أن الخيرية ثابتة لأفراد هذه القرون الثلاثة جميعاً، بغض النظر عن اختلاف درجاتهم وتفاوتهم في الصلاح والاستقامة.

---

[1] سورة التوبة: الآية: 100.

[2] أبي حامد بن محمد بن أحمد الغزالي، إلجام العوام عن علم الكلام، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع، ص 62.

[3] أخرجه البخاري (2530) ومسلم (4706) من حديث عبد الله بن مسعود.

يرى عدد من العلماء في مقدمتهم الشيخ ابن عبد البـر، إلى أن الخيرية ثابتـة لمجموع المسلمين في تلك العصور الثلاثة، أما الأفـراد فقد لا تنطبق الخيرية على بعض منهم، بل قد يأتي فيمن بعدهم من هو أفضل بهم [1].

III. السلف زماناً:

من خلال تلك التعريفات السابقة، نـلاحظ أن كلمة (السلف) إذا أريـد بمعناها اللغوي فقط، لا تعني التقدم والسبق، الذي هو معنى نسبي يمكن أن تتعاره الأزمنة المتوالية كلها، ككلمة (قبل) سواء بسواء، لأن كل زمن من الأزمان سالف إلى الأزمنة في أعقابه وخلفُ بالنسبة إلى الأزمنة التي سبقته ومرت قبلـه.

غير أن هذه الكلمة قد اكتسبت معنى اصطلاحياً ثابتاً غير هذا، لا تتجاوزه ولا تنتقل منه إلى سواه، وكما قد سبقت الإشارة أعلاه، فإن الكلمة تستعمل في الدلالة على هذا المعنى الاصطلاحي، بصدد الحديث عن أفضل العصور الإسلامية وأولاها بالاقتـداء والاتبـاع[2].

IV. السلفية منهجاً ومذهباً:

السلفية تعني بمعناها اللغوي، الانتساب إلى السلف الصالح، وهي من أكثر المفاهيم الفكرية والسياسية إثارة للجدل والخـلاف، حيث اختلف العلماء والمفكرون في مسألة الانتساب للسلف، ما بين مؤيد لها يعتبرها نسبة محمودة لمنهج معصوم يجب الجميع اتباعه، وبين رافض يرى أن السلفية لا تعنى سوى مرحلة زمنية مرت، قصارى ما في الأمر أن الرسـول وصفها بالخيرية، وأن الادعاء وانتحال الانتساب للسلف الصالح، ليست إلا إحدى البدع المستحدثة بعد الرسول.

---

[1] أنظر فتح الباري على صحيح البخاري، 4/7.

[2] محمد سعيد رمضان البوطي، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، 1988م، ص 9.